شواهد القراءات القرآنية ودورها في إتقان علوم اللغة العربية

ملخص البحث:

يتطلَّع راغبي تعلُّم اللغة العربية أن يُتقنوا علم النحو والصرف والبلاغة وغيرها ، وخاصَّة الطلاب الذين وصلوا إلى المرحلة الجامعية والتَّخَصُّص والعالمية، فيهدف الباحث إلى بيان أنَّ القراءات القرآنية –وهي من القرآن الكريم وخاصة المتواترة منها– تُعدُّ من أهمِّ الطرُقِ لإتقان علوم اللغة العربية خاصَّة لطلاب العلم من الناطقين بغير العربية ، بل يُعدُّ مسلكا سهلاً ومهما للطلاب العربِ كذلك ، وتتصل هذه الدراسة بالمحور الأول وهو تأثير الشواهد القرآنية في العلوم العربية لما للقراءات القرآنية مداخل في العلوم العربية وكونها غنية باللهجات العربية ، وسيبيِّن الباحث ذلك وسيقدم أمثلة و نماذج من القرآن الكريم حيث إن القراءات القرآنية ترتبط ارتباطا مباشرا بفهم معاني القرآن الكريم بدقَّة وعمق وتفصيل ، وتمتاز بقدرتها على جذْب رغبة الطلاب المسلمين الراغبين في التَّعَمُّق في الدين الإسلامي وعلومها ومعرفة أسسها وفروعها وأحكامها، وإن الطالب الذي يتعلَّم القرآن ويفهم متطلباته سيكون مسلما عارفا مطيعا مرضيا لله تعالى ، بل يعد من الجنود الذين يحافظون على القرآن الكريم مصداقا لقول الله تعالى : {إنا نحنُ نزَّلنا الذِّكرَ وإنا له لحافظون}، ولا شك أنَّ هذا مسلك مؤدٍ إلى أعلى مراتب الجنة الذي يسعى إليه كل مسلم . وقد تكوَّن البحث من مُقدِّمة ومبحثين، فكان المبحث الأول في بيان نشأة القراءات القرآنية وأنواعها وخصائصها ، بينما كان المبحث الثاني بيانا في دور القراءات القرآنية في إتقان علوم اللغة العربية، وختمت البحث بنتائج توصَّل إليها البحث منها أن دراسة القراءات القرآنية تنمي المقدرة في فهم علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة والدلالة وغيرها، وتجعل الطالب متواصلا مع القرآن الكريم وقراءاته ، وتعمِّق لديه فهم الإسلام ومبادئه، فتعد القراءات القرآنية أفضل طريقة لفهم العلوم العربية ، وتطبيق العلوم العربية على القراءات القرآنية خير سبيل في فهم معاني القرآن الكريم وتفسيرها واستنباط أحكامها .

الدكتور عبد الغني بن محمد دين

مُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين الذي جعل القرآن معجزا وأنزله بكلام عربي مبين ، والصلاة والسلام علي سيد الخلق النبي الأمي وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعي التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

فتبين للعلماء أن القراءات القرآنية قد أثرت العلوم العربية والعلوم الشرعية والدنيوية العلمية وقد أجمعت العلماء من المسلمين وغير المسلمين المنصفين على عظمة القرآن والقراءات القرآنية، وأن من يملك علما ثم تعلَّم القرآن الكريم وقراءاته لكان عاملا كبيرا في عمق تفكيره ، وصدق علومه، وازداد يقينا بأهمية القرآن وقراءاته ودوره في تعميق علومه وإتقانه ، فمنها العلوم العربية ، فطالب العربية عندما يطبقه على الشواهد القرآنية والقراءات القرآنية يزداد تعمُّقا ، ودِقَّة ، وإتقانا ، فسيُثبت البحث أنَّ الشواهد من القراءات القرآنية خير سبيل لتطبيق القواعد العربية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها ، وأنه بهذا العمل وهذه الطريقة سيزداد تعمُّقا ودقَّة وفهما وإتقانا ، سيوضح البحث أنَّ القراءات القرآنية من أهمِّ الأسباب لإتقان اللغة العربية خاصَّة لطلاب العلم من غير الناطقين بغير العربية ، بل يُعدُّ مسلكا سهلاً للطلاب الناطقين بالعربية ، لما للقراءات القرآنية مداخل للعلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة وعلم اللغة وعلم الدلالة بل العلوم الشرعية كالفقه والعبادات وغيرها ، بل إنَّها غنية باللهجات العربية ، وسيبيِّن الباحث ذلك بأدلة مقنعة وأمثلة أو نماذج حيَّة ، وتتميز القراءات القرآنية بتعلُّقها المباشر بالقرآن الكريم وفهم معانيها بدقَّة وتفصيل ، وتمتاز بقدرتها على جذْب رغبة الطلاب المسلمين الراغبين في التَّعَمُّق في الدين الإسلامي وعلومها ومعرفة أسسها ، وإن الطالب الذي يتعلَّم القرآن ويفهم متطلباتها سيكون مسلما عارفا مطيعا مرضيا لله تعالى ، ومن الجنود الذين يحافظون على القرآن الكريم مصداقا لقول الله تعالى : {إنا نحنُ نزَّلنا الذِّكرَ وإنا له لحافظون}(1)، ولا شك أنَّ هذا مسلك مؤدٍ إلى أعلى مراتب الجنة الذي يسعى إليه كل مسلم .

---

(1) الحجر : 9 .

المبحث الأول: في بيان نشأة القراءات القرآنية وأنواعها وخصائصها

لقد مرَّ على القرآن الكريم مراحل عدَّة منْذ نزوله على نبيبا محمد صلى الله على وسلم ، ومن خلال ما استطلعه الباحث وما قرأه من الكتب المعنية والمؤلفات المتعددة تبين أن القراءات القرآنية مر على مرحلتين:

المرحلة الأولى : نزول القرآن على سبعة أحرف :

أُنزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة على حرف واحد؛ فلم يختلف الصحابة في قراءة الآيات القرآنية في مكة المكرمة ، وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب (المدينة المنورة) طلب صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام التخفيف في قراءة الآيات القرآنية يصور هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزَلْ أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف."(2). وحديث آخر رواه مسلم عن أُبَيَّ بن كعب رضي الله عنه قال "إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أَضاةِ بني غفار قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمَّتَك القرآن على حرف. فقال : أسأل الله مُعافاته ومغفرته، وإنَّ أمتي لا تُطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتِّي لا تطيق ذلك. ثم جاء الثالثة فقال:"إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاء الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيَّما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا"(3) . فكان أحد الصحابة يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة ويُقرؤه لغيره ، وكان صحابي آخر يسمع قراءة غن النبي صلى الله وسلم ثم يُقرؤه لغيره ، وقد حدث أن سمع صحابيٌّ صحابيًّا آخر قراءة غير قراءته فاختلفا يُمثِّل ذلك حديث عن أبي بن كعب رضي الله عنه حيث قال : كنت في المسجد فدخل رجل يصلى ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه. فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ. فحسَّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما... فقال لي : (يا أُبي أُرسَل إليَّ أن أقرإ القرآن على حرف. فرددتُ إليه : أن هوِّن على أمتى . فرُدَّ إليَّ الثانية: اقرأه على حرفين. فرددتُ إليه : أن هوِّن على أمتى .

---

(2) البخاري ، صحيح البخاري ،كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، تح: محمد عبد الباقي ، طبع المكتبة السلفية.، 100/6 .

(3) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الصلاة باب بيان القرآن نزل على سبعة أحرف، رقم 280 تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

فرُدَّ إليَّ الثالثة: اقْرأْه على سبعة أحرف. فلك بكل ردَّة رددتها مسألة تسألنيها. فقلتُ : اللهم اغفر لأمتي. اللهم اغفر لأمتي. وأخَّرْتُ الثالثة ليومٍ يرغب إليَّ الخلق كلهم ، حتى إبراهيم عليه السلام" (4) .

وكان السبب في اختلاف تلك القراءات هو اختلاف لهجات العرب وقبائلها حيث كانت بألسنتها عادات متأصلة فيها تجعلها تنحرف بألسنتها انحرافات متباينة كان من الصعب التخلص منها مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله يتسامع في ذلك رغبة منه في تبليغ القرآن الكريم إلى أوسع شريحة من تلك القبائل ، وترغيبا منه لهم في قراءته وحفظه ، مما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله معافاته ومغفرته بأن أمته لا تطيق ذلك في أمة أمية لا تطيق ذلك يبين ذلك ما روى الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال :"لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المروة قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل :"إني بُعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام ، قال جبريل: فمُرهم فليقرؤا القرآن على سبعة أحرف ... وفي رواية حذيفة بن اليمان : فقلت : يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابا قط ، قال جبريل : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فمن قرأ منها شيئا فهو كما قرأ"(5) .

وتلك القراءات كانت تُعرف بالأحرف السبعة واستمرت القراءة على الأحرف السبعة إلى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، علما أنه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه تم جمع القرآن في صحيفة واحدة بعد أن كان مُفرقا ومكتوبا على العظام والأحجار وسعف النخل والسبب هو الخوف من ضياع القرآن حيث استشهد كثير من صحابة رسول الله في معركة اليمامة ، حيث أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم بعدما تقدَّم إليه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بهذا الاقتراح – أي بجمع القرآن الكريم في مصحف– عقب معركة اليمامة حين استحر القتل بالمسلمين، ولاسيما حملة القرآن(6)، فقد قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: إنَّ القتل قد استحر يوم اليمامة بِقُرَّاءِ القرآن، وإنِّي أخشى أن يستحِرَّ القتلُ بالقُراء في كل المواطن فيذهبُ من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمُر بجمع القرآن(7). وقد صَوَّر ابن كثير هذا الأمر وبيَّن حقيقته وفائدته بقوله :((فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله في الصحف؛ لئلا يذهب منه شيء بِمَوْتِ من تلَقَّاهُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته، ثم أخذها عمر بعده

---

(4) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، 561/1- 562 .

(5) ينظر : ابن الجزري : النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه على محمد الضباع، دار الكتب العلمية 1/ 20 ، الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ) : البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط3، 1400هـ دار الفكر 1/ 227 .

(6) البخاري ، جزء من حديث في صحيح البخاري، الجامع الصحيح، طبع المكتبة السلفية، 1720/4 ، 2629/6 .

(7) ابن النديم ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت، 1398هـ : ص 37

فكانت عنده محروسة معظَّمة مُكرَّمة، فلما مات كانت عند حفصة أمِّ المؤمنين؛ لأنها كانت وصِيَّته من أولاده على أوقافه وتَرِكَتِه، وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.)) [8] .

إذًا السبب في نزول القرآن على سبعة أحرف هو التسهيل والتيسير حيث كان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وألسنتهم مختلفة ولهجاتهم متباينة ويتعذر على الواحد منهم أن ينتقل من لهجته التي نشأ عليها إلى غيرها ، وقد اقتضت رحمته تعالى بهذه الأمة أن يخفف وييسر عليها حفظ كتابها وتلاوة دستورها فكان من الحكمة أن يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم كل قبيلة بما يوافق لغتها ويلائم لسانها رغبة في تبليغ الرسالة المنزلة إلى العرب كافة ، ومن خلالهم إلى شعوب الأرض المعمورة .

المرحلة الثانية : نشوء القراءات بعد جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه للقرآن :

لقد جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه القرآن الكريم على حرفٍ واحد بعد كان على سبعة أحرف ؛ وذلك بعدما علم باختلاف الناس في القراءات اختلافا شديدا: وضح هذا المشهد الإمام البغوي حيث قال :"ثم إنَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقرؤون القرآن بعده على الأحرف السبعة التي أقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن الله عز وجل ، إلى أن وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان، وعظُم الأمرُ فيه وكتب الناس بذلك من الأمصار إلى عثمان وناشدوه الله تعالى في جمع الكلمة، وتدارُك الناسِ قبل تفاقُمِ الأمر، وقدِم حُذيفة بن اليمان من غزوة أرمينية فشافهه بذلك، فجمع عثمان عند ذلك المهاجرين والأنصار وشاورهم في جمع القرآن في المصاحف على حرف واحد ليزول بذلك الخلاف وتتفق الكلمة، واستصوبوا رأيه وحضُّوه عليه ورأوْا أنه من أحوَط الأمور للقرآن."[9].

وكانت مصاحف عثمان السبع التي بعثها إلى الأمصار خالية من النقط والتشكيل مما نشأ منه قراءات متعددة مختلفة عن بعضها البعض قيل إنها ما احتملته الأحرف السبع، لذلك فهذه القراءات ثبتت وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها ليست من اجتهادات القرَّاء بل هي سنة مُتَّبعة، فالقُراء لم يعتمدوا على المصحف في القراءة ، ولكنه الرواية المتواترة عن صحابة رسول الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالأساس هو الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تلقَّى صحابته عنه شفويًّا، وعن الصحابة تلقَّاه التابعون، وتوالى ذلك بالسند المتواتر جيلا بعد جيل. ونؤكِّد مرة أخرى **أنَّ السماع والمشافهة هما أساس القراءات،** وقد استمر الصحابة يتلون القرآن كما سبمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء صحبتهم له. ثم تكاثر في كل من الأمصار الإسلامية

---

[8] ابن كثير ، فضائل القرآن، دار الأندلس ، بيروت، ص 19 .

[9] البغوي ، شرح السنة ، المكتب الإسلامي، ط2، 1403، 523/4 .

خلفاء جيل بعد جيل، وبعد ذلك كثر القراء وتفرّقوا في البلاد وانتشروا وخلَّفهم أمم بعد أمم وعرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم فكان منهم : المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية(10). فكان كل قارئ يختار من بين مروياته مع الاجتهاد في اختياره، أو اختيار الراوي من بين مسموعاته كما فعل نافع إذ يختار ما يسمعه أو ما يرويه ، ويترك بعضها حيث قال : "قرأت على سبعين من التابعين، فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم أخذته، وما شذ فيه واحد تركته، حتى ألَّفت هذه القراءة من هذه الحروف، وقال: تركت من قراءة أبي جعفر سبعين حرفا(11). وكذلك فعل الكسائي الذي قرأ على حمزة وهو يخالفه في نحو ثلاث مائة حرف؛ لأنه كان يتخيَّر القراءات، فأخذ من قراءة حمزة بعضا وترك بعضا(12). وكذلك سلك هذا المسلك أبو عمرو بن العلاء فقد قرأ على ابن كثير ، وهو يخالفه في حروف كثيرة؛ لأنه قرأ على غيره واختار من قراءته من قراءة غيره قراءة .... وهكذا جميع القراء ، حقيقة إن اختيارات القراء أكثر من أن نحصرها(13). وقد صنّف أبو القاسم بن سلاَّم (ت 224هـ) كتابا جمع فيه قراءات خمسة وعشرين إماما سوى السبعة المشهورين الذين عرَّف بهم فيما بعد وأقامهم أئمة للقراء ابنُ مجاهد في كتابه (السبعة في القراءات)(14) . ثم كثر بينهم لذلك الاختلاف وقلَّ الضبط واتسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحق فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد وبينوا الحق المراد وجمعوا الحروف والقراءات وعزَوْا الوجوه والرويات، وميزوا المشهور والشاذ ، الصحيح والفاذ بأصول أصَّلوها وأركان فصلوها(15).

نشوء القراءات السبع :

ثم اختار أبو بكر ابن مجاهد من القراءات الكثيرة والمتشعبة سبع قراءات السبعة، حيث جمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقيين والشام، فبدأ بجمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قُرَّاء هذه الأمصار؛ ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أُنزِل عليها القرآن، لا لاعتقاده غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة ، أو أن هؤلاء السبعة المعنيين هم الذين لا يجوز أن يُقرا بغير قراءتهم(16). والقراءات السبعة المختارة من قبل ابن مجاهد (17)، هي على النحو التالي:

1-قراءة عبد الله بن عامر اليحصبي المتوفي سنة 118هـ .

---

(10) ابن تيمية ، مجموع الفتاوي، مطبعة الرسالة، سوريا ، ط1 ، 1398هـ 390/13 .

(11) الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، تح: بشار عواد وزملاؤه، مؤسسة الرسالة – بيروت- ط1، 1404هـ، 1/ 109 .

(12) مكي بن أبي طالب ، الإبانة عن معاني القراءات، تح: عبد الفتاح شلبي، المكتبة الفيصلية، ط3، 1405هـ، ص55 .

(13) ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، عنى بنشره ج برجستراسر، طبع دار الكتب العلمية، ط2 1400هـ1/ 538

(14) الدكتور شوقي ضيف ، تحقيق السبعة في القراءات ، المقدمة ، ص14 .

(15) ابن الجزري ، النشر ، 1/ 9 .

(16) ابن تيمية ، مجموع الفتاوي، مطبعة الرسالة، سوريا ، ط1 ، 1398هـ 390/13 .

(17) ابن مجاهد ، السبعة في القراءات ، دار المعارف ، ط2، ص 53 – 87 .

2-قراءة عبد الله بن كثير الداري المتوفي سنة 120هـ .

3-قراءة عاصم بن بهدلة أبي النجود المتوفي سنة 127هـ.

4- قراءة أبي عمرو بن العلاء المتوفي سنة 154هـ.

5-قراءة حمزة بن حبيب الزيات المتوفي سنة 156هـ .

6- قراءة أبي عبد الرحمن بن أبي نعيم المتوفي سنة 169هـ.

7-قراءة على بن حمزة الكسائي المتوفي سنة 189هـ.

وهذه القراءات السبعة لا تشتمل على الأحرف السبعة؛ لأنها متواترة على حرف واحد، ولكن هي مشتملة على ما يحتمله رسمها من السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام ، مُتضمِّنة لها ، لم تترك حرفا منها"(18) .

نشوء القراءات الثلاثة المكملة للعشر :

لا شك أن ابن مجاهد قد أدَّى دورًا كبيرا في استخلاص القراءات الصحيحة بالشروط الثلاثة التي وضعها وبعد بحث وفحص طويل اختيار القراء السبعة من أئمة القراءات حمل عليهم المسلمون في جميع أقطارهم وأمصارهم فَاستطاع لَمَّ الشعث، وأدرك الأمة قبل أن يتسع بينها الخلاف في قراءات السماوي العظيم(19)، وكان عمله هذا اقتداء بفعل الصحابة رضي الله عنهم في جمعهم للقرآن وتوحيدهم للمصاحف، وقد تأثر بوجه خاص بسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث كان الهدف واحدا وهو درء الخلاف والعمل على إجماع الأمة وتوحيد كلمتها فلذلك فقد تلقى هذا الاختيار وتلك الشروط قبولا كبيرا من العلماء ، بل كان لهذا العمل تأثيرا كبيرا في من جاء بعده من أهل صناعته حتى أصبحت قراءاته منبعا ثرًّا ينهل منه العلماء الوجوه الصحيحة ويلتفون حوله دارسين(20)، فنجد أن كتابه قد صار المصدر الوحيد أو الأساسي فلم يخرجوا عن سبعته ، ومع ذلك فإن سنة الحياة أن يكون لكل عمل معارضة وتقييم ولكن ليست المعارضة في اختياراته أو ما تضمنته كتابه ، فقد اعترضوا على كون القراءات سبعة من القراء وذلك لأمرين، هما(21):

---

(18) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر، 85/1

(19) ابن مجاهد، مقدمة كتاب السبعة في القراءات ، ص 15

(20) عبد الفتاح القاضي : القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، ط1، 1401هـ ص 67 .

(21) الدكتور محي الدين سالم ، علل القراءات القرآنية ، مكتبة وهبة ، القاهر ، ص 167 – 168 .

الأول: ما أدَّت إليه عملية التسبيع هذه عند العامة من التياس لسبعة الحديث الشريف بقراءات هؤلاء القراء السبعة قال ابن الجزري :"غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجتمع عليه في قراءاتهم تركن النفس إلى ما نُقل عنهم فوق ما نقل عن غيرهم"(22)

والجدير بالذكر أن العلماء قسَّموا القراءات إلى ثلاثة أقسام ، هي:

القراءات المتواترة ، و القراءات المشهورة ، و القراءات الشاذة.

فالقراءات المتواترة فهي القراءات السبعة وهي التي رواها جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب والتي اختارها ابن مجاهد وارتضى الأكثرون اختياره، وإن عارضه بعضهم(23) ، وقد ذكرناها سابقا.

والقراءات المشهورة هي القراءات الثلاثة المتممة للعشر(24) وهي القراءات التي صح سندها بنقلها العدل الضابط عن مثله ، ووافقت العربية والرسم العثماني فتُلقِّين بالقبول وهذا القسم قد أنشأه ابن الجزري وأضافه إلى السبعة التي اختارها ابن مجاهد(25) وهي :

1-(8) قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني المتوفي سنة 130هـ.

2-(9) قراءة أبي محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي المتوفي سنة 205هـ.

3- (10) قراءة أبن محمد خلف بن هشام البزار المتوفي سنة 229هـ.

وأصبح القراء العشر المذكورون هم الذين تنتهي إليهم القراءات الصحيحة التي توافرت لها شروط القبول، وارتضاها الإجماع(26) ، قال القرطبي :"وقد أجمع المسلمون في جميع الأمصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه، ورأوه من القراءات –يعنى الأئمة العشرة- وكتبوا في ذلك مصنَّفات، واستمر الاجماع على الصواب، وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب، وعلى هذا الأئمة المتقدمون، والفضلاء المحققون كابن جرير الطبري، والقاضي أبي بكر بن الطيب وغيرهما"(27)

---

(22) ابن الجزري ، النشر 10/1 ، وانظر السيوطي ، الإتقان 100/1 .

(23) د. السيد رزق الطويل ، علوم القراءات مدخل وتحقيق ودراسة، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة، ط1 1405هـ- 1985م ، 56/1 .

(24) أحمد عبد الغني الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، دار الندوة الجديدة، ص 7

(25) فقد وافق ابن الجزري على السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد ثم أضاف إليهم ثلاثة قُراء آخرين . انظر ابن الجزري ، النشر ، 9/1 .

(26) د. السيد رزق الطويل ، علوم القراءات مدخل وتحقيق ودراسة، 32/1 .

(27) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ط . دار الكتب المصرية ، 46/1

أما القراءات الشاذة فهي قراءة التابعين الأربعة المتممة للأربع عشرة[28] ، وهي :

1-(11) قراءة الحسن البصري المتوفي سنة 110 هـ.

2-(12) قراءة الأعمش سليمان بن مهران المتوفي سنة 148هـ .

3-(13) قراءة اليزيدي يحيى بن المبارك المتوفي سنة 202 هـ .

4-(14) قراءة ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن المكي المتوفي سنة 123هـ[29].

المبحث الثاني : دور القراءات القرآنية في إتقان علوم اللغة العربية

إنَّ القرآن الكريم هو من خلّص اللغة العربية من شتات اللّهجات الكثيرة، وهو إضافة لذلك جعل من اللّغة العربية لغة عالميّة تنطق بها الأمم، إذ تغلغلت في كل أنحاء المعمورة منها الهند والصين وأفغانستان ، وحسبنا ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد، مثل: البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، والقزويني، وغيرهم الكثير، بالإضافة إلى ذلك فإنَّ القرآن الكريم له الفضل الكبير في تقعيد اللغة وضبطها، ويمكننا القول بأن القرآن الكريم يُعدُّ بمنزلة الروح من الجسد بالنّسبة للّغة العربيّة، وبفضله سادت اللّغة العربيّة وتهذّبت، وضُبِطت قواعدها، واتّصلت حلقات عصورها، وانفتحت للعلوم والمعارف، وحفظت وحدتها.

أمّا القراءات القرآنية فقد أحدثت نوعاً من التفاعل البنّاء بين النّحاة، وإن الاختلاف التي حصل فيها ما هو إلاّ السبيل والمنطلق إلى لغة قرآنية سليمةٍ من كلّ زللٍ أو لحنٍ قد يقع فيه من يجهل القراءات القرآنية وما هي عليه من سلامةٍ في اللغة، فالقرآن الكريم الذي جاء على سبعة أحرف كلٌّ منها شافٍ وافٍ، لا سبيل لتخطئة قراءاته إذا ما توافرت لها شروط القراءة الصّحيحة، ولم تخرج عن مقاييس اللّغة نثرها وشعرها. فلذلك يمكننا القول إنَّ القراءات القرآنية بأنواعها المتعددة لهي السبيل لإتقان العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة ودلالة وغيرها .

وفي هذا المبحث سنذكر دور القراءات القرآنية في إتقان علوم اللغة العربية على النحو التالي:

---

(28) الدمياطي، الإتحاف ، ص 7

(29) ويعد مقرئ أهل مكة ، ولولا ما في قراءته من مخالفة رسم المصحف العثماني لأُلحقت بالقراءات المشهورة .

أولا: إتقان علم النحو

لا شك أنَّ الدراسات النحوية ارتبطت بالقراءات القرآنية مُنذ نَشأتِها وأصبحت من منابع الاحتجاج النحوي بل تُعد مِن الشواهد النحوية الأصيلة سواءً الموافِقة للقياس النحوي أو المخالفة له، فنرى أنَّ القراءات النحوية قد أسهمت في تأصيل القواعد النحوية وأخْرَى رَدَّت قاعدة نحوية ، وثالثة قراءات تَوَلَّدَت عنها قواعد نحوية ، بل أنَّ هناك قراءات وَلَّدَتْ عن طرائف نحوية ، كما أسهمت القراءات أثرت في الدراسات النحوية مُتأثِّرَة باللهجات العربية .

وقد وَجَّه النحويون القراءات التي ظاهرها المخالفة للقواعد النحوية ، وهذا النوع من الدراسات تُعدُّ من الدراسات العميقة والدقيقة في علم النحو ، وقد اهتم بها العلماء القدامي كسيبويه والأخفش والفراء والمبرد واين السراج وأبي علي الفارسي ، وأبي الفتح ابن جني وقطرب وغيرهم كثير.

وأرى أن الطالب سيستمتع بهذا الدراسات الشيقة المفيدة التي تُقرِّبه إلى القرآن الكريم ومعانيها وأسرارها ، و لا يحتاج الطالب أن يسعى إلى حِفظ تلك المواضع ؛ لأنها شيِّقة فإنها ستُقحِم نفسها إلى قلبه فتنال الرضا والقبول والحب والعشق ، فبذلك فإن الطالب سيتمكَّن مِن اللغة العربية وقواعد النحو العربي بل تكون عميقة في وُجدانه ، وكذلك يصير تعلُّقه بالقرآن الكريم حميمة ، فالقراءة المستَمِرَّة لمواضع القراءات القرآنية النحوية ستُولِدُ لديه المعرفة العميقة والعشق لهذه المادة المهمَّة والمؤثِّرة في فهم القرآن الكريم ، وسأورِدُ بعض المواضع حتى نستمتع معًا بتلك الدراسات النحوية المتعلِّقة بالقراءات القرآنية وإليك بعض النماذج من القراءات القرآنية التي سيتفيد منها طلاب العربية :

1 -قال الله تعالى: {وإذْ قالَتْ أمَّةٌ لِمَ تعِظونَ قَوْمًا اللهُ مُلهِكُهم أو مُعذِّبُهم عذابًا شديدًا قالوا مَعْذِرةٌ إلى ربِّكُم}(30) فالقراءة تنوَّعت في (مَعْذِرةٌ) حيث قُرأت بالرفع والنصب: فقراءة الرفع قرأه : ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ، أما قراءة النصب فقد قرأه الباقون من القراء العشرة(31) سيبحث الطالب عن سبب قراءة الرفع ، وقراءة النصب مما يستدعي أن يعرف موقع إعرابها ، ومعنى كل إعراب ، فمن قرأ بالرفع فقد جعل (معذرةٌ) خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : مواعظتنا معذرةٌ ، أو هذه معذرةٌ ، وأما قراءة النصب فهي واضحة وهي أنها مفعول به لـ"قالوا"

فالإشكال في قراءة الرفع مما يتطلَّب معرفة أمور كثيرة واستعادتها منها : شروط وجوب حذف المبتدأ ، ومتى يجوز حذفه ، ومتى يمتنع، فالأقوال فيها على ما يلي:

---

(30) الأعراف ، الآية 164 .

(31) ينظر ابن مجاهد ، السبعة في القراءات ص296 ، وابن الجزري ، النشر في القراءات العشر 273/2 .

أنَّه مرفوع على إضمار مبتدأ دلَّ عليه الكلام ، قدَّره الجمهور : موعظتنا معذرةٌ . ووهو اختيار سيبويه حيث علل بقوله: لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذارا استئنافا من أمر لم عليه ، ولكنهم قيل لهم : لم تعظون قوما ؟ فقالوا : معذرةٌ، أي: موعظتنا معذرةٌ إلى ربكم"(32).

وحكى ابن خالويه أن تقديره عند أبي عبيد: هذه معذرةٌ (33)، في حين قال الزجاج في معنى الآية : المعنى أنهم قالوا: الأمر بالمعروف واجب علينا ، فعلينا موعظةُ هؤلاء لعلهم يتقون ، أي: وجائز عندنا أن ينتفعوا بالمعذرة(34).

ونقل القرطبي عن جمهور المفسرين أنهم قالوا: إن بني إسرائيل افترقت ثلاث فرق ، فرقة عصَتْ وصادت ، وكانوا نحوا من سبعين ألفا ، وفرقة اعتزلت ولن تَنْهَ ولم تعْصِ، وفرقة ثالثة قامت بالدعوة ، وإن هذه الطائفة قالت للناهية،لِمَ تعظون قوما –أي العاصية– الله مهلكهم أو معذبهم على غلبة الظن، وما عهد من فعل الله تعالى حينئذ بالأمة العاصية، فقالت الناهية: موعظتنا معذرةٌ إلى الله لعلهم يتقون، ولو كانت فرقتين لقالت الناهية للعاصية: ولعلكم تتقون(35) .

2-التحقيق في قراءة (كانتْ) ومعناها في قوله تعالى :{يوصيكُمُ اللهُ في أولادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حظِّ الأُنْثَيَيْنِ فإنْ كُنَّ نِساءً فوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ وإن كانتْ واحدَةً فَلَها النِّصْفُ} أهي ناقصة أم تامَّة ، وهذا يُحَدَّدُ من قراءةِ حركة (واحدة) فقد قُرأتْ بالنَّصبِ (واحدةً) وهي قراءة التسع القراء من العشرة ، وقُرأت بالرَّفعِ (واحدةٌ) وهي قراءة نافع وحده(36) ، فالطالب سيتعرف على الإعراب وسببها ومعنى الآية ، وهي كما يأتي :

أ)فقراءة الرفع أي: كانتْ واحدةٌ ، فمعنى (كان) تامَّة ، أي: حدَثَ ووقَعَ ، فلا تحتاج إلى خبر ، فبذلك رُفِعَ (واحدةٌ) بفعلها ، والتقدير : وإن حدثت واحدةٌ أو وقعت ، على معنى حدث حكمها أو إرثها ؛ لأن المراد حكمها والقضاء في إرْثِها لا في نفسها(37). فالتقدير : فإن وقع إرث الواحدة أو حدث ، فكونها تامة هنا أولى من كونها ناقصة .

ب)أما قراءة النصب فباعتبار (كانت) ناقصة فتحتاج إلى اسم وخبر ، فأُضمِرَ اسمُها فيها ، ونصب واحدة على أنها خبرها ، والتقدير: وإن كانت المتروكة أو المولودة أو الوارثة واحدة ، قال مكي بن أبو طالب الأندلسي :"ووفق في

---

(32) سيبويه ، الكتاب 1/ 320 .

(33) ابن خالويه ، إعراب القراءات السبع وعللها ، تح: د. عبد الرحمن العثيمين ، مكتبة الخانجي –القاهرة ، ط1، 1413هـ- 1992م ، 211/1 .

(34) الزجاج (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه ، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1 1408هـ ، 2/ 385 .

(35) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، بيروت –دار الكتب العلمية ، د.ط، 1416هـ- 1996م 7/ 195.

(36) ينظر : ابن مجاهد ، السبعة في القراءات ص227 ، وأبو حيان ، التذكرة في القراءات، تح: د. عفيف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1406هـ- 1986م 1/ 372 .

(37) المنتجب الهمذاني ، الدرة الفريدة في شرح القصيدة ، تح: محمود محمد حفني الشرقاوي، رسالة دكتوراه ، 2/ 276 .

ذلك بين آخر كلامه وأوله ، ألا ترى أن أوله "فإن كنَّ نساءً" فنُصبَ ، وأُضْمِر في "كان" اسمها ، فلما أجمع على النصب في (نساء) أجري "واحدة" على ذلك ؛ لأن الآخر قسيم الأول ، فجرى على لفظه وحكمه ؛ لأنه تعالى ذكر جماعة البنات وحكمهن في ميراثهن ، ثم ذكر حكم الواحدة في ميراثها ، فجرى الواحدة في الإعراب مجرى الجماعة؛ لأن قبل كل واحد منهما (كان) ، والتقدير: فإن كان المتروكات نساء ... وإن كانت المتروكة واحدة"(38).

1-القراءات في كلمة (أَرْجُلكم) والمعاني التي دلت عليها في قوله تعالى :{فاغْسِلوا وُجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامْسَحوا بِرُؤوسكم وأرْجُلَكُم إلى الكعبين}(39).

ففيها ثلاث قراءات ، فالطالب سيعرف موضعها الإعرابي، ثم المعنى الخاص بكل إعراب، وما فيه من أحكام مختلفة فإليك البيان:

أ)القراءة الأولى : قراءة النصب أي: (أرْجَلَكُم) وهي قراءة : نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص ، والكسائي ويعقوب(40). وهي معطوفة على (وُجوهَكم وأيديَكم) المنصوبتان على أنها مفعول به للفعل (اغسلوا) ، فالمعنى : فاغسلوا وجوهَكُم وأيديَكم إلى المرافق وأرْجُلَكم إلى الكعبين ، وامسحوا برؤوسكم، وسيعرف الطالب أيضا الحكم الشرعي ، ففي قراءة النصب يكون حكم الأرجل هو الغسل ؛ لأنها معطوفة كما تبين على {وجوهَكم وأيديَكم} وإنما أُدْخِل مسْح الرأس بين المغسولات محافظة على الترتيب ؛ لأن الرأس يُمسح بين المغسولات(41)،

ب)قراءة خفض اللام من (أرجُلِكُم) وهي قراءة: أبي عمرو ، وابن كثير ، وعاصم في وراية أبي بكر ، وحمزة، وخلف وأبي جعفر(42). والمعنى على قراءة الخفض : اغْسِلوا وُجوهَكُم وأيديَكم إلى المرافق وامْسَحُوا بِرُؤوسِكِم وأرْجُلِكُم إلى الكعبين" فـ"أرجلِكمْ" مجرورة بالعطف على (رُؤوسكم) ، وينتج أنَّ حكم الأرجُلِ هو المسح ؛ لأنها معطوفة على {رُؤوسِكُم} لفظا ومعنى، وقيل : إنَّها عُطفت على الجِوار فيكون العطف على (رؤوسكم) لفظا لا معنى فيكون حكم الأرجل الغسل أيضا، وللزجاج النحوي رأي في الخفض على الجوار تعقيبا على قراءة الجر ، حيث قال :"الخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله عز وجل، وإنما يجوز في ضرورة الشعر ، ولكن المسح على الرجل لو كان مسحا كمسح الرأس لم يجز تحديده إلى الكعبين كما جاز التحديد في اليدين إلى المرافق ، قال الله عز وجل {وامسحوا برؤوسِكم}

---

(38) مكي بن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة ، ط3، 1404هـ ، 1/ 378 .

(39) المائدة ، الآية 6 .

(40) ابن الجزري ، النشر ، 2/ 254 .

(41) محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مطبعة المدني ، ط1، 1386هـ ، 2/ 7 .

(42) أبو بكر ابن مهران : المبسوط في القراءات العشر ، تح: سبيع حمزة حاكمي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط2، 1408 هـ ، ص 161 ، ابن الجزري ، النشر ، 2/ 254 ، ابن مجاهد، السبعة في القراءات، دار المعارف ، 242 .

بغير تحديد في القرآن ، وكذلك التيمم {فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه} من غير تحديد فهذا كله يوجب غسل الرجلين "(43).

ج)قراءة رفع اللام (أرْجُلُكم) وهي قراءة شاذة قرأه الحسن البصري(44) ، ومعناه : اغْسِلوا وُجوهَكُم وأيديَكُم إلى المرافق وامسحوا بِرُؤوسِكم ، وأرْجُلُكم مغْسُولَةٌ ، فيكون حُكْم الأرْجُل الغُسْلُ؛ لأن {أرْجُلُكُم} مرفوعة على أنه مُبتدأ والخبر محذوف والتقدير : اِغْسِلوها أو مغسولةٌ أو نحو ذلك (45)، وتكون هذه القراءة في معنى القراءة بالنصب.

2-قراءة كلمة (الأرحام) في قوله تعالى : {واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام}(46): ففيها قراءتان متواتران ، بالنصب والجر ، حيث قرأ حمزة وحده بجر (الأرحام)، والعشرة الباقون قرأوا بنصبها(47).

فالمعنى على قراءة النصب الحث على صلة الأرحام وتحذّر من قطعها؛ إذ أكثر اللغويين على أن التقدير: واتقوا الله، واتقوا الأرحام. وليس معنى اتقائها إلا صلتها وعدم قطعها والإحسان إليها(48).

وأما معناها في قراءة الجر فهي رفعٌ من شأن الرحم وتذكير لهم بصنيعهم إذ كانوا في عظائم أمورهم يتساءلون بالأرحام. "(49).

من القراءتين الواردتين سيتعرف طالب العربية أنَّ رأي الكوفيين الذين يرون جواز الجر على كونه معطوفا على هاء الضمير الذي في محل رفع في قوله (به) جائز في العربية ، وعلينا قبوله وإن كان البصريون لا يرون جواز هذه القاعدة، وأحب أن أذكر قول الآلوسي عن القراءتين حيث يقول: "وقرأ حمزة بالجر، وخرجت في المشهور على العطف على الضمير المجرور، وضعّف ذلك أكثر النحويين بأن الضمير المجرور كبعض الكلمة لشدة اتصاله بها، فكما لا يعطف على جزء الكلمة لا يعطف عليه. وقد ثبت عن علي كرم الله وجهه أن ابن أخيه عبد الله بن جعفر كان إذا سأله بحق

---

(43) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 2/ 593 .

(44) ينظر : الدمياطي ، الإتحاف ص 198 ، القراءات الشاذة ص 42 .

(45) ينظر : ابن جني ، المحتسب 1/ 208 ، البيضاوي ، تفسير البيضاوي ص 142 .

(46) النساء الآية 1 .

(47) ينظر : ابن الجزري، النشر ، 2/ 247 ، أبو بكر ابن مهران ، المبسوط ص153، الدمياطي ، الإتحاف ص 198 .

(48) ينظر : جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور ، 2/ 424 .

(49) المصدر السابق .

جعفر أعطاه. وليس هذا من باب الأقسام، فإن الأقسام بغير جعفر أعظم، بل من باب حق الرحم؛ لأن حق الله إنما وجب بسبب جعفر، وجعفر حقه على علي"(50) .

3-المعنى في اختلاف قراءة (متم) في قوله تعالى : {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون}(51): فقد قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالإضافة (أي بدون تنوين) ، بينما قرأ الباقون بالتنوين ونصب (نورَه). وربما يظن لأول وهلة أن القراءتين شيء واحد، من القراءيتن سيدرك الطالب سرًّا من أسرار العربية في إحكامها وأحكامها ، ودقتها وما تؤدي اختلاف الحركات من فروق بين المعاني ناتجة عن الفروق بين الألفاظ. فمن روعة العربية أنَّ التفريق بالتنوين يؤدي إلى تعدُّد المعنى فيقال: هذا ضاربُ زيدٍ. وضاربٌ زيداً، والأول يفيد تحقق الضرب ووقوعه. قال ابن قتيبة: "ولها الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين المختلفين كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما بالإعراب، ولو أن قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي- بالتنوين-، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي -بالإضافة-؛ لدلّ التنوين على أنه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قد قتله"(52) . وعلى هذا يجب أن نفهم الآية الكريمة، فقراءة الإضافة ترشد إلى أن الله تبارك وتعالى قد أتم نوره، وقد يكون هذا الإتمام بإكمال الدين، وقد يكون بنصر أهله والتمكين لهم ودحر أعدائهم. فقراءة الإضافة -إذن- فيها المنة الإلهية على نبيه والمؤمنين معه بما أكرمهم الله به من إتمام هذا النور، ولكن القرآن الكريم ليس لهذه الفئة وحدها، بل هو للمسلمين جميعاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإذا كانت قراءة الإضافة فيها منّة إلهية، فإن قراءة التنوين فيها عدة ربانية ووعد الله لا يتخلف، فيها طمأنينة للمؤمنين عندما تَدْلَهِمُّ ظلمة، ويُوحش ليل، ويستنسر بغاث، بأن حالاً مثل هذا لن يدوم أبداً، ولا بد أن يتم الله نوره كما أتمه من قبل {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً}(53). فما أسدّ كلاًّ من القراءتين في معناها، وما أصدق كل قراءة فيما ترشد إليه!

---

(50) رضا ، محمد رشيد : تفسيير المنار ، بيروت – دار الفكر ، ط2 ، د.ت جـ4/ 332.

(51) الصف : 8 . .

(52) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ – 889م) تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية ص11 .

(53) النور: 55. .

ثانيا: إتقان علم الصرف

يُعدُّ علم الصرف قسيم علم النحو ، وهما قد نشآ معا ثم استقل علم الصرف بكونه يتعلَّق بالألفاظ مُفردَةً ، وتحديد حركاتها لتحديد المعنى المراد منها ، ونجد هذا في القراءات المتعلِّقة بالدراسات الصرفية من حيث معرفة حركات الأسماء لتحديد نوعها أو جنسها ثم معرفة معناها بالدِّقة ، وكذلك معرفة حركات الأفعال الماضية أو المضارعة ، وكون حرف المضارعة بالياء أو بالتاء أو بالنون أو بالهمزة لتحديد معناها وفاعلها ونوعها من الغائب أو المخاطب أو المتمكلم ونحوه ، وعلم الصرف كذلك يُحدِّد معاني القراءات القرآنية بحسب حرف المضارعة ، وكذلك يُبيِّن اختلاف أبواب المضارع من خلال القراءات المختلفة ، واهتم علماء النحو بتوجيه القراءات توجيها صرفيا أو تصريفيا ، لبيان المعنى بالتحديد والدِّقة ، وسأعرض بعض تلك المواضع :

1-في قوله تعالى: {وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة}(54): قرأ أبو عمرو بن العلاء : (وعدنا) بدون ألف، وقرأها الباقون من العشرة بألف: (واعدنا)(55)، وسيعرف الطالب المعاني من خلال التطبيق لمعاني هذين البناءين :

فقراءة الجمهور فيها معنى المفاعلة، فالمواعدة تكون بين اثنين، فهناك وعد من الله لموسى بإعطائه التوراة، ووعد من موسى بالتنفيذ والالتزام والحضور.

أما قراءة أبي عمرو فإنها تدل على أن الوعد كان من الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام، فهو من جهة واحدة، فإذا كانت قراءة الجمهور دالة على ما كان يطمح إليه كليم الله تبارك وتعالى من فرحة اللقاء، ونور المؤانسة التي ذاق حلاوتها من قبل وهو عائد من مدين(56) حينما خوطب: {إني أنا ربك}، وحين سئل: {وما تلك بيمينك يا موسى} فأطال القول: {هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخر }(57).

2-وسيتبين الطالب في قراءة (عميت) التطبيق القرآني لمعاني (فعِل وفعَّل) في قوله تعالى في قصّه نوح عليه السلام: {قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعُمّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون}(58)

---

(54) البقرة: 51.

(55) ينظر : مكي ابن أبي طالب ، الكشف ، 1/ 239 .

(56) ينظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، 1/ 199 .

(57) طه: 18.

(58) هود: 28.

فلقد تعددت القراءات في الآية، فقرأ حفص وحمزة والكسائي (فعمّيت) بالتشديد على بناء الفعل للمفعول، وقرأ الباقون بالتخفيف وبناء الفعل للفاعل(59).

فالمعنى على قراءة التشديد تبين أن الرحمة قد عُمِّيت، وقد يكون الذي عمّاها عليهم هو الله تبارك وتعالى؛ لأن قلوبهم غلف، فأضلهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم، وقد يكون غيره سبحانه(60)، وهو خلاف مشهور بين المفسرين. كما في قال تعالى: {زيّن للناس حب الشهوات}(61)، وقال: {زيّن للذين كفروا الحياة الدنيا}(62) ، فقد قيل إن المزيّن هو الله سبحانه، وقيل إن المزيّن هو الشيطان، ولكلٍّ وجهة فيما ذهب إليه. وهذا يصدق على الآية التي نتحدث عنها.

وقراءة التخفيف (عَمِيَتْ) تدل على أن الرحمة هي التي عميت عليهم وهو أسلوب في العربية شائع مشتهر، يقال: أدخلت الأصبع في الخاتم، وأدخلت الخاتم في الإصبع. فمعنى عميت عليهم الرحمة أنهم هم عموا عنها، أو تكون عميت بمعنى خفيت، ويكون ذلك من باب المجاز. قال الشيخ زاده رحمه الله: "وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم. والمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى دليل القوم عليهم في المفازة فإن الحجة كما توصف بالإبصار إذا كانت معلومة لأنها هادية كالبصر. قال تعالى: (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة). كذلك توصف بالعمى إذا كانت مجهولة خفية لكونها غير هادية. قال الله تعالى: {فعميت عليهم الأنباء}(63).

3-القراءات في (لمهلكهم) في قول الله تعالى:{وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}(64) فقرأها حفص عن عاصم (مَهْلِكِهم) بفتح الميم وكسر اللام، وقرأها الجمهور أي باقي العشرة : {مُهْلَكِهِمْ}، بضم الميم وفتح اللام ، وقرأها أبو بكر (مَهْلَكِهم)، بفتح الميم واللام.

فمعنى قراءة حفص عن عاصم أنَّها مصدر بمعنى: إهلاكهم، وعليه يكون المعنى: وجعلنا لإهلاكهم موعدًا، وقد يراد بها اسم الزّمان، وحينئذ يكون المعنى: جعلنا لزمن إهلاكهم موعدًا. والصيغة على قراءة الجمهور أنَّها مصدر ، بمعنى: الإهلاك نحو: مُدْخَل، ومُخْرَج؛ وقد يراد بها اسم المفعول بمعنى: مَنْ

---

(59) ينظر : ابن زنجلة ، حجة القراءات ، ص 338 ، مكي ابن أبي طالب ، الكشف ، 1/ 527 .

(60) المصدرين السابقين .

(61) آل عمران: 14.

(62) البقرة: 212.

(63) الشيخ زاده: محمد عبد الوهاب بن عبد الكريم (ت 975هـ 1568م)، حاشية زاده على البيضاوي (أربعة أجزاء)، دار الطباعة الباهرة ببولاق مصر، 1263هـ، جـ3، ص 42.

(64) الكهف : 59 .

أُهْلِكَ، أو ما أُهْلِكَ منها، والمعنى حينئذ: وجعلنا لِمَن أُهلِك موعدًا. أما دلالتها على قراءة أبي بكر فهي أنَّها مصدر؛ نحو: مَطْلَع، ومَدْخَل، ومَخْرَج؛ والمعنى حينئذ: جعلنا لهلاكهم موعدًا.

4-اختلاف القراءات وما تبعه اختلاف في المعنى في كلمة (قاسية) في قوله تعالى :{فَبِما نَقْضِهِم ميقاقَهُم لعَنَّاهُم وجعَلْنا قُلوبَهُم قاسِيّةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِه ونَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّروا بِه ولا تَزالُ تَطَّلِعُ على خائِنَةٍ مِنْهُم إلَّا قليلاً مِنْهُم فَاعْفُ عَنْهُم واصْفَحْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ}(65)

فقرأ حَمْزَةُ والكِسائِيُّ {قُلوبَهُمْ قَسِيَّةً} بغير ألف وتشديد الياء .

وقرأ سائر العشرة {قلوبَهم قاسِيَةً} بالألف خفيفة الياء(66).

وسيعرف الطالب على وجه الدِّقة المعاني التي تدلُّ على كل قراءة وهي على التفصيل الآتي:

معنى القراءة الأولى : وهي قراءة حمزة والكسائي (قَسِيَّة) فيه قولان:

الأول: أن "قَسِيَّة" فَعيلة من القَسْوةِ ، وجاءت على وزن "فَعِيلة" للمُبالَغَة في الوصف ؛ فإنَّ "فعيلة" من "فاعِل" كما أنَّ "عليما" من "عالِمٍ" ، و"سَمِيعًا" من "سَامِع"(67). فهذه القراءة مفيدة للمبالغة في وصف القسوة.

الثاني: أن "قَسِيَّة" ليست من القَسْوة ، ومعنى "قَسِيَّة" : التي ليست بخالِصة الإيمان، أي: خالطها كُفْرٌ ، فهي فاسِدةٌ، ولهذا قيل للدراهم التي خالطها غشٌّ من نحاس أو غيره : قَسِيَّة(68) . ونستدل بما قال الراغب (ت 502هـ) :"وقُرِئَ "قَسِيَّة" أي : ليست قلوبهم بخالصة من قولهم ، درهم قسيٌّ ، وهو جنس من الفضة المغشوشة فيه قَساوة، أي" صلابة." (69) . فتصف هذه القراءة عدم قبول الحق وقساوة قلوبهم ، فهم يحملون قلوبا فاسدة يخالطها الكفر، فهي كالدراهم القسية مغشوشة وصلبة قاسية .

---

(65) المائدة 13.

(66) أبو بكر ابن مهران ، المبسوط ، ص 161-162 ، وابن الجزري ، النشر ، 2/ 254 .

(67) مكي ، الكشف ، 1/ 407 ، ابن الجوزي ، زاد المسير ، 2/ 312 .

(68) ابن زنجلة ، حُجة القراءات ، ص 224 ، ومحمد سالم محيسن ، المغني في توجيه القراءات ، 2/ 11 .

(69) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة – بيروت ، ص 404 .

بينما معنى قراءة باقي العشرة "قاسِيَة" هي من القسوة ، أي: غليظةٌ بائِنَةٌ عن الإيمان قد نزعت منها الرحمة والرأفة ، والقسوة في اللغة : الغلظة واليُبس وشدة الصلابة (70).

إتقان علم اللغة والصوت والدلالات :

علم اللغة أو الظواهر اللغوية يشمل العديد من الأمور التي تتعلق باختلاف الكلمات في الحروف والحركات، وذلك كالاختلاف بين لهجات القبائل العربية كظاهرة التماثل بأنواعها ، بين الصوائت وأنصاف الصوائت ، كقراءة قوله تعالى :"فَمَنْ تَبعَ هُدَيَّ" ، و"مُحْيَيٌّ" ، و"بُشْرَيّ" . وكالاختلاف في ظاهرة المماثلة بين الصوامت أي: الإبدال كقراءة {والنخل باصقات} بالصاد والمشهور بالسين، وكالاختلاف في ظاهرة الحركات وهي ظاهرة تبادل بين الحركات القصيرة في اللهجات المختلفة ، كالتناوب بين الفتح والكسر في فاء الاسم ، نحو "السَّلم" و"السِّلم"، والتناوُب بين الفتح والكسر في عين الفعل ، وبين الفتح والضم كما في "الضَّعْف" و"الضُّعف"، وكذلك ظاهرة زيادة حركة وحذفها وذلك في العلاقة بين "عُذُر" و "عُذْر" ، و "نُذُر" و"نُذْر" بإثبات الحركة وحذفها ، وإليك بعض النماذج القرآنية:

1- اختلاف القراءة في (بضنين) في قوله تعالى: (إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثَمّ أمين . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو على الغيب بضنين...)(71). فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء (بظنين) ومعناه (بمتهم)، وقرأ الباقون : بالضاد (بضنين) ومعناه ببخيل(72). فقراءة الظاء منسجمة مع الوصف السابق وهو قوله سبحانه (أمين)، أما قراءة الضاد فمعناها أنه ليس بخيلاً بما أمر بتبليغه فلا يكتم ما عنده تلقاء أجر يتلقاه، كما يفعل الكهّان .وعلى هذا فهذه القراءة منسجمة مع ما بعدها من قوله: (وما صاحبكم بمجنون)؛ فإن نفي الكهانة والجنون جاء في مثل قوله سبحانه: (فذكّر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون). وهكذا تتفق القراءة الأولى مع ما قبلها، وتنسجم الثانية مع ما بعدها.

وهناك أمر آخر يظهر لي من اختلاف القراءتين وهو أن هذه الآيات الكريمة اختلف فيها المفسرون، فبعضهم ذهب إلى أن المقصود جبريل عليه السلام، وآخرون قالوا إن المقصود هو النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كان الأمر كذلك وكان كلٌّ من المعنيين صحيحاً، فإن الذي أراه أن قراءة الضاد ترجح أنه النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي ليس بخيلاً بوحي الله كما هو شأن الكهان الذين يبخلون بتخرصات الشياطين، وقراءة الظاء ترجح أنه جبريل عليه السلام الذي

---

(70) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 15/ 180- 181 .

(71) مثالاً لاختلاف الأحرف من حيث التبديل والتغيير. التكوير: 19-24

(72) ينظر : ابن مهران ، المبسوط ، 298 ، ابن الجزري ، النشر ، 2/ 398 ، الدمياطي ، الإتحاف ص 248 .

اتهمه اليهود(73)، كما حكى لنا القرآن المدني فيما بعد: (قل من كان عدوّاً لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله). هذا ما يبدو لي في توجيه هاتين القراءتين من حيث النظم، ولله درّ التنزيل!

2- الاختلاف في قراءة كلمة (يُسَيِّركم) في قوله تعالى :{هو الذي يُسَيِّرُكُمْ في البَرِّ والبحْرِ حتى إذا جرَيْنَ بِهِم بِريحٍ طَيِّبَةٍ وفَرِحُوا بِها جَاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وجاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وظَنُّوا أَنَّهُم قَدْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ له الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}(74)

فقرأ أبو جعفر وابنُ عامِر {ينْشُركم} بِفَتْح الياء ونون ساكنة بعدها وشين معجمة مضمومة .

وقرأ باقي العشرة {يُسَيِّرُكم} بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة (75).

فقراءة أبي جعفر وابن عامر {ينشركم} هي من النَّشْر ضدُّ الطَّيِّ، أي : يَبُثُّكم ويُفرّقكم في البر والبحر ، كما قال تعالى :{فانتشِروا في الأرْضِ}(76) ،وقال تعالى :{وبَثَّ فيهيا مِنْ كُلِّ دابَّةٍ}(77) أما قراءة الباقين {يُسَيِّرُكم} فالمعنى فيها : يَحْمِلُكم على السَّيرِ ويُمكِّنُكُم منه(78) . والجدير بالذكر أن حاصل القراءتين هو تذكير الله سبحانه تعالى من نعمه الكثيرة على الناس ، فهو سبحانه الذي بث الناس ونشرهم وفرقهم في أرجاء الدنيا برا وبحرا ، وهو سبحانه الذي سيرهم ومكنهم من ذلك(79) كما قال تبارك وتعالى {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور }(80).

3-التحقيق من ضبط كلمة (سِخْرِيًّا) ومعناها(81) في قوله تعالى :{فاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أنْسَوْهُمْ ذِكْرِي وكُنْتُمْ مِنْهُم تَضْحَكُون}(82) وكذلك في قوله تعالى :{وقالوا ما لنا لا نَرى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهم مِنَ الأشْرارِ ، أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصارُ}(83)

---

(73) ينظر : مكي ، الكشف ، 2/ 364 ، ابن زنجلة ، حجة القراءات ، ص 752 .

(74) يونس: 22.

(75) ابن مهران، المبسوط ، ص 199 ، وابن الجزري ، النشر ، 2/ 282 ، الدمياطي ، الإتحاف ، ص 248 .

(76) الجمعة: 10.

(77) البقرة: 164.

(78) الدمياطي ، الإتحاف ، ص 248 .

(79) ينظر : محمد عمر با زمول ، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، ط1 ، م2/ 570.

(80) . الملك : 15

(81) ينظر : محمد عمر با زمول ، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام م1/ 62-63.

(82) المؤمنون: 110.

فلقد تنَوَّعَتِ القراءات في قوله {سِخْرِيًّا} : فقرَأ نافِعٌ وحمزةُ والكسائي وأبو جعفر وخلف {سُخْرِيًّا} بِضَمِّ السين في الموضِعَيْنِ . وقرأ باقي العشرة {سِخْرِيًّا) بكسر السين فيهما .

وإليك كلام العلماء في معنى القراءتين ، وهي على النحو التالي:

أ) قيل إن القراءتين بمعنى واحد –أي بكسر السين وضمها– وذكر الزجاج أن هذا منقول من سيبويه والخليل(84) .

ب) وقيل إن هناك فرق بين الكلمتين : فالقراءة بضم السين يكون من السَّخَرَةِ والتَّسْخير، وهو الخِدْمَةُ . أما القراءة الثانية –بكسر السين– فمن السُّخرية والاستهزاء. قال أبو حيان : "قال أبو عبيدة والكسائي والفراء : ضم السين من السخرة والاستخدام، والكسر من السَّخْر وهو الاستهزاء ...." (85) . وقال الحسن وقتادة وأبو عمرو بن العلاء ، وهذا معنى ما قالوا :"السُّخْرِيُّ بالضم ما كان من جهة السَّخَرَة، والسِّخْرِي بالكسر ما كان من الهزؤ." (86) .

والتحقيق أنه لا تمانع بين المعنيين إذ أنَّ الكُفَّار منهم من اتخذ المؤمنين سَخَرَةً للخدمة؛ لأنه كان يملكه عبْدا ، أو يقهره محكوما تحت سلطانه ونحو ذلك ، ومنهم من اتخذ المؤمنين سِخْرِيًّا واستهزاءً(87) .

إتقان علم البلاغة :

إن الدراسات البلاغية في توجيه القراءات القرآنية ستجلي المعاني المتعددة من جراء اختلاف القراءات وتعددها وتكشف عما وراء دلالات الألفاظ الظاهرة من استعارات وتشبيهات وكنايات ومجازات ودقة في المعنى كامنة وراء أساليب التقديم والتأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير والفصل والوصل والقصر والإيجاز والإطناب والمساواة وغير ذلك من الأساليب، وهذه الدراسات والاستفادات ستزيد من إدراك الطالب وقدرته البلاغية وينمي في شخصيته صفات نفسية وذوقية خاصة تجعل فيه من الشفافية ما يؤهله لإدراك دقائق المعاني ولطائف النكات والإشارات وسيتبين للطالب التوَصُّل إلى دقة تلك القراءات وأحكامها وروعتها من حيث معانيها وغاياتها ومن عدم تعارضها وتناقضها ، بل من حيث انسجامها مع أهداف القرآن الكريم في المجالات الدعوية والفكرية والتهذيبية والتشريعية وغيرها ، فتعدد القراءات في الآية الواحدة يؤدي إلى تعدد المعاني المستفادة من هذه الآية ، ويوسع دائرة فهمنا لمراد الله تعالى من كلامه في الموضوع الواحد ، وهذا شكل من أشكال الإيجاز الذي يفضي إلى كمال الإعجاز ، إذ أغنى

---

(83) ص : 63 .

(84) ينظر : الزجاج ، معاني القرآن ، 4/ 24 .

(85) أبو حيان ، البحر المحيط ، 6/ 423 .

(86) ينظر : النحاس ، معاني القرآن ، 4/ 488 .

(87) ينظر : محمد عمر با زمول ، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ، 1/ 570 . .

تنوع القراءات من تعدد الآيات ، فنجد اللفظ القليل يحتمل المعاني الكثيرة المتنوعة والمهمة . إن تنوع القراءات بشكل عام يؤدي إلى ثراء المعنى وسعته ، وقد يثور خلاف بين العلماء حول فهم بعض الآيات من خلال قراءة معينة ، ويكثر حوله معانيها الجدل ، فتأتي القراءة الأخرى لتضبط الفهم أو توجه الخلاف وُجهةٌ أخرى، وتنفتح آفاقا لفهم جديد، كما ستضفي التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية دراسة تطبيقية ذات إفادة عالية فسيتعرف الطالب إن تنوع القراءات القرآنية سيجدها في آيات مختلفة في سور مختلفة تشابه نظمها ومعرفة الأسرار الكامنة فيها، كما سيجد أن بعضها تعددت فيها القراءات في الكلمة الواحدة ، بينما سيلاحظ أنَّ هذه الكلمة نفسها في الموضع آخر لم تُقرأ إلا بوجه واحد، وسوف يتبين له حينما يمعن النظر يجد أن هذا الشكل من تنوع القراءات ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تنوع القراءات فيه لا ينتج عنه تنوع في المعاني والدلالات ، ولكنه تنوع يرجع إلى تعدد اللهجات في الكلمة أو تعدد اللغات في المصدر مع وحدة المعنى أو تنوع صيغة الجمع وغير ذلك(88) .

القسم الثاني : تنوع القراءات في هذا القسم ينتج عنه تنوع المعاني ، بحيث نجد آيات متشابهة النظم قرئت بأكثر من قراءة ، لكل قراءة معنى ووجهة ، بينما نجد آية أخرى تشبه الآيات التي تعددت فيها القراءات في النظم ، ولكنها لم تقرأ إلا بقراءة واحدة وحين نتأمل هذا الموضع نجده لا يصلح فيه إلا هذا الوجه من القراءة ، وهذاالملحظ يشهد لبلاغة القراءات وروعة بيانها ، فسبحان الله الذي يجمل كلامه عن الخلل والاضطراب(89).

والجدير بالذكر أن العالم البلاغي ينبغي أن تتوافر فيه متطلبات أساسية وهي أن يكون بمعرفة كاملة وتامة بعلم النحو والصرف والدلالات ومعاني الكلمات حتى يحذق علم البيان والمعاني والبديع ويتقنها إتقانا كاملا وهذا ما سنراه في نماذج التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، وإليك بعضا منه القراءات القرآنية وتوجيهها بلاغيا :

أولا: سنذكر نموذجا أن التوجيه البلاغي للقراءة ستؤكد أن تنوع القراءات ستكشف معنى الآية وتوضح دلالتها، وذلك في تنوع القراءة لكلمة (نُنْشِزُها) في قوله تعالى :{وانْظُرْ إلى العِظامِ كَيْف نُنْشِزُها ثم نَكْسُوها لَحْما...} (90)

فقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب {كيف ننشرها} بالراء .

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف {كيف نُنْشِزُها} بالزاي(91) .

---

(88) محمد أحمد الجمل ، الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية ، م2/ 358.

(89) المصدر السابق ، م2/ 363 .

(90) البقرة : 259 .

فمعنى القراءة الأولى بالراء {كيف ننشرها} أي: كيف نحييها ونبعثها بعد موتها .

ومعنى القراءة الثانية بالزاي {كيف ننشرها} أي: نرفع بعضها إلى بعض ونركِّبه على حالته الأولى لا يختل عظم عن مكانه ، ,النشر : الرفع ، فترفع العظام وتركب للأحياء ؟

فالقراءتان تضيف كل واحدة منهما إلى الأخرى معنى ، فقراءة {كيف ننشرها} بينت أن العظام رفعت ورُكِّبت بعضها على بعض دون تعرض لأحيائها ، وقراءة {ننشرها} بينت أن العظام أحياها اللهُ .

فأفادت الآية بالقراءتين أن الله ركب العظام على بعضها كما كانت على حالتها الأولى لم يختل عظم من مكانه ، وأحياها الله ، فأدت القراءتان المعنى المراد بيانه – وهو النبيه على عظيم قدرته سبحانه –مع الإيجاز(92) .

إن تنوع القراءات بشكل عام يؤدي إلى ثراء المعنى وسعته ، وقد يثور خلاف بين العلماء حول فهم بعض الآيات من خلال قراءة معينة ، ويكثر حوله معانيها الجدل ، فتأتي القراءة الأخرى لتضبط الفهم أو توجه الخلاف وُجهةٌ أخرى، وتنفتح آفاقا لفهم جديد(93) .

هذا ما يجسِّدُه تعدد القراءات في (ننسخ) و (نُنْسِها) من قوله تعالى :{ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أو نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها أَلَمْ تَعْلَمْ أنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }(94)

فقد قرأ ابن عامر (نُنْسِخُ) بِضَمِّ النُّون الأولى وسكون الثانية وكسر السين.

وقرأ الباقون من العشرة (نَنْسَخُ) بفتح النون الأولى والسين .

أما في {نُنْسِها} فقرأ ابن كثير وأبو عمرو (نَنْسأْها) بفتح النون الأولى والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء.

وقرأ باقي العشرة (نُنْسِها) بضم النون الأولى وكسر السين من غير همزة(95) .

---

(91) عبد الفتاح القاضي: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدري، ويليه القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، ط1، 1401، ص 54 .

(92) محمد عمر بازمول، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام 2/ 495 ، وينظر : مكي ، الكشف 1/ 310، ابن زنجلة، حجة القراءات ص 144 .

(93) محمد أحمد الجمل ، الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية ، م2/ 332 .

(94) البقرة : 106.

(95) ينظر : ابن الجزري ، النشر ، 2/ 165 ، عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة ، ص 38 .

ولقد أشكل فهم قراءة (نُنْسِها) على بعض الناس ، وقالوا: غير جائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نسى من القرآن شيئا مما لم يُنسخ ، إلا أن يكون نسى شيئا ثم ذكره. ولو كان صلى الله عليه وسلم نسى شيئا ، فلا يُتصوَّر أن ينساه جميع الذين قرأوه وحفظوه من أصحابه رضي الله عنهم بعد تبليغه لهم(96).

كما نشأ خلاف معروف عند أهل العلم حول وقوع النَّسْخِ وعدمه، ما هي القضايا التي يلحقها النسخ؟ وقد ساعد على تعدد الأفهام في ذلك : تعدد المعاني اللغوية للنسخ ونتج عنه أيُّ هذه المعاني يمكن أن يرجع في سياق هذه الآية .

وتأتي أهمية تعدد القراءة في {نَنْسَخُ} و {نُنْسِخُ} لتأكيد وتثبيت وقوع النسخ بتصريف القول فيه، فتارة : الله هو الناسخ، وأخرى الله هو الآمر بالنسخ، وعلى كلا الحالين ، فالفاعل هو الله تعالى .

قال الطبري : {ما ننسخ} ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدله ونُغيره ، وذلك أن نُحَوِّل الحلال حراما ، والحرام حلالا ، والمباح محظورا ، والمحظور مباحا ، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والمنع والإباحة ، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ومنسوخ ... وقد جعل علماء الأصول مباحث النسخ من جملة مقاصد ذلك الفن ... وقد اتفق أهل الإسلام على ثبوته سلفا وخلفا ، ولم يخالف في ذلك أحد إلا من لا يعتد بخلافه ولا يؤبه لقوله، وقد اشتهر عن اليهود أقماهم الله إنكاره ..." (97). وقال الزمخشري : "ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها ، وإنساخها : الأمر بإنساخها ، وهو أن يأمر جبريل عليه السلام بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها "(98).

أماا قراءة (نُنْسِها) ففي معناها وجهان من التأويل كما قال الإمام الطبري:

أحدهما: (نُنْسِها) من النسيان على بابه الذي ضد الذكر .

الآخر: (نُنْسِها) نتركها ، من النسيان الذي بمعنى الترك ، ويحتمل هذا في الآية عدن معان منها:

1 -أي نتركها على حالها فلا نبدلها ولا ننسخها ، (قاله ابن عباس والسدِّي) ومنه قوله تعالى {نسوا الله فنسيهم}(99) أي: تركوا عبادته فتركهم في العذاب .

---

(96) يُنظر الطبري ، جامع البيان ، 1/ 525 .

(97) الطبري ، جامع البيان ، 1/ 521 وما بعدها .

(98) الزمخشري ، الكشاف 1/ 303 .

(99) التوبة: 67.

2-نأمر بتركها ، يقال : أنْسَيْتُه الشيء : أي أمرت بتركه .

ومعنى قراءة (نَنْسأْها) بالهمزة : نُؤخِّر نسخها، يقال : نسأتُ هذا الأمر إذا أخَّرته ، ومن ذلك قولهم : بِعتُه نَسْأً، إذا أخَّرته ، قال ابن فارس: ويقولون : نسأ الله في أجلك، وأنْسأ اللهُ أجلك،... أخَّره وأبعده(100)، وقيل : معنى (ننسأها) نُؤخِّرها عن النسخ إلى وقت معلوم(101).

ونتابع توضيح المعاني السابقة : أما القول بأن معنى (ننسها) في الآية : من النسيان الذي هو عدم التذكر، فقد علمنا ما أثير حول هذا المعنى من اعتراض، إذ القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة يمكن أن ينْسَوا نهائيا قرآنا نزل، ولا يذكره أحد منهم ، يفتح بابا واسعا للتشكيك في القرآن وسلامة نصه ، لا سيما مع وجود روايات لا يُشكُّ في بُطلانها تُساعد على هذا التشكيك ... والصحيح أن نِسيان النبي صلى الله عليه وسلم ما أراد الله نسخه ، ولم يُرد أن يُثبته قرآنا جائز ، لكنه لم يقع ، فأما النسيان الذي آفةٌ في البشر فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم عنه قبل التبليغ ، وأما بعد التبليغ وحفظ المسلمين له فجائز ، وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أسقط آية من سورة في الصلاة فلما فرغ قال لأبيٍّ لم لم تُذَكِّرْني ، قال : حسبت أنها رُفعت ، قال : لا ، ولكني نسيتها(102).

إذن المعنى الأول لقراءة (نُنْسها) الذي هو ضد التذكر ، لا يمكن أن يُقبل ؛ لأنه يحدث إشكالية نحن في غنى عنها، أما المعنى الآخر لهذه القراءة وهو (نتركها على حالها فلا نبدلها ولا ننسخها –ويبدو أنه مقابل لقوله تعالى {نَنْسَخ} أي ما ننسخ من آية أو نتركها بلا نسخ كما هي – فمردود بسياق الآية بعدها {نأت بِخير منها أو مثلها}.

وأما القول بأن معنى (نُنسها) نأمر بتركها ، فإن كان المراد نأمر بتركها كما هي دون نسخ فمعناه كمعنى القول السابق هذا أي نأمر بتركها على حالها دون نسخ وقد رددناه(103).

وأما إن قصد (نأمر بتركها) أي بالتخلي عنها وتجاهل كونها من القرآن فهذا يؤول إلى معنى النسخ، فكأنه قيل : ما ننسخ من آية أو ننسخها ، وهو تكرار في المعنى لا يقبل الكلام البليغ فضلا على كلام الله تعالى .

وهذا التفسير لمعنى قراءة (ننسها) يؤول إلى معنى قراءة (ننسأْها) فتتفق القراءتان في المعنى ، ولما كانت قراءة (نُنسها) غير صريحة في معنى تأخير النسخ ،واحتملت معاني أُخر قد يشكل فهمها على البعض ، جاءت قراءة (ننسأها)

---

(100) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، 5/ 422 .

(101) القرطبي ، أحكام القرآن ، 2/ 66 .

(102) ينظر : ابن عطية الأندلسي ، عبد الحق بن غالب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، 1/ 194 .

(103) محمد أحمد الجمل ، الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية ، م2/ 337 .

صحريحة في معنى التأخير غير محتملة لمعنى النسيان ، وحمْلُ معنى (ننسها) على (ننسأها) يُذهب ما قد يُتوهَّم إشكاله في هذا القراءة[104] .

الخاتمة :

لم يكن هناك شك أن القراءات القرآنية المصدر الأول للتقعيد النحوي والصرفي والبلاغي والدلالي ونحوها ، فبعد أن خُضنا في هذا البحث الشيق نخرج منها بنتائج منها :

1- أثرت القراءات بأنواعها تأثيرًا كبيرا في العلوم الشرعية وغيرها، نحو علم التفسير وعلم الفقه (استنباط الأحكام) وعلم النحو ، وكذلك علم الصرف وغيرها؛ لأن القراءات القرآنية تُعدُّ مصدرًا مُهِمًّا من مصارد علومها ؛ لذا استفادت تلك العلوم من القراءات القرآنية أيما إفادة .
2- بينت القراءات القرآنية أن اختلاف علماء النحو والصرف كلها تُصب في توضيح هذه اللغة الواسعة الغربية والفريدة ، وهذا يدل أن كل الأحكام النحوية والصرفية المستنتجة من كلام العرب صحيحة ومقبولة .
3- إن التوجيهات البلاغية قد بينت أمورا معنوية كثيرة جدا غرف منها المفسرون واللغويون حيث أعطت القراءات المختلفة للفظة القرآنية معاني جديدة ، وأدَّى تنوُّع القراءات إلى رفع إشكال متوهم في معنى الآية ، فتعاملوا مع هذه القراءات وكأنها آيات مستقلة حتى قيل : إن كل قراءة آية مستقلة من حيث دلالتها على المعنى، مما جعل رصيد التفسير وافرا بسبب تعدد القراءات ومن تنوع مدلولاتها ومعانيها.
4- أهمِيَّة دراسة القراءات القرآنية لغويا ونحويا وصرفيا وبلاغيا لطالب العربية ؛ لأن القراءات القرآنية من الأمور التي تحمل في طياتها الأسرار الدقيقة في فهم الآيات القرآنية
5- دراسة القراءات القرآنية تُكمل مسيرة طالب العربية ويزداد متانة وقوة وإتقانا . فيقترح الباحث أن تجعل دراسة القراءات القرآنية من المواد الأساسية في مرحلة الإجازة العالية والتخصص في الكليات الإسلامية والعربية في كل الجامعات، حتى يتَّضح مدى أهمية القراءات القرآنية وتظل في القلوب دائما ولا تغيب أبدا ، ويتحقق لها التطبيق في الحياة العلمية والعملية .

---

[104] المصدر السابق م 2/ 338 .

المصادر والمراجع :

1- **أحمد عبد الغني الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، دار الندوة الجديدة**

2- **الأخفش (ت 215 هـ) : معاني القرآن، تحـ: عبد الأمير محمد أمين، عالم الكتب، ط1 1405.**

3- **البخاري ، محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، تحـ: محمد عبد الباقي ، طبع المكتبة السلفية.**

4- **البغوي ، شرح السنة ، تحـ: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط2، 1403**

5- **أبو بكر ابن مهران : المبسوط في القراءات العشر ، تحـ: سبيع حمزة حاكمي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط2، 1408 هـ.**

6- **البيضاوي ، تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الفكر .**

7- **ابن تيمية: مَجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الرياض، توزيع ونشر الرئاسة العامة للإفتاء**

8- **جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحـ: محمد أحمد جاد المولى، وزملاؤه، دار الفكر .**

9- **ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ، عنى بنشره ج برجستراسر، طبع دار الكتب العلمية، ط2 1400هـ.**

10- **ابن الجزري : النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه على محمد الضباع، دار الكتب العلمية.**

11- **ابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحـ: على النجدي وعبد الفتاح شلبي، وعبد الحليم النجار، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1386هـ**

12- **ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، زاد المسير في علم التفسير ، تحـ: زهير الشاوش – المكتب الإسلامي – بيروت ، ط3 ، 1404هـ.**

13- **أبو حيان ، التذكرة في القراءات ، تحـ: د. عفيف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1406هـ- 1986م.**

14- **أبو حيان ، تفسير البحر المحيط، دار الفكر ، ط2 ، 1403هـ – 1983م.**

15- **ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، تحـ: د. عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق، ط2، 1397هـ- 1997م.**

16- الراغب الأصفهاني ، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن ، تحـ: محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة – بيروت .

17- الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه ، تحـ: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1 1408هـ.

18- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ) : البرهان في علوم القرآن ، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط3، 1400هـ دار الفكر.

19- ابن زنجلة : حجة القراءات ، تحـ:سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة – ط5 ، 1397هـ – 1997م.

20- الزمخشري ، الكشاف ، دار الفكر ، ط1 ، 1397هـ.

21- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سيرة أعلام النبلاء ، أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط، ط6، بيروت، مؤسسة الرسالة 1409هـ.

22- الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ): معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحـ: بشار عواد، وزملاؤه، مؤسسة الرسالة –بيروت– ط2 1408هـ– 1988م.

23- سيبويه : الكتاب ، تحـ: د. عبد السلام هارون ، دار الجيل – بيروت ، ط1 .

24- د. السيد رزق الطويل ، علوم القراءات مدخل وتحقيق ودراسة، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة، ط1 1405هـ– 1985م.

25- الشيخ زاده: محمد عبد الوهاب بن عبد الكريم (ت 975هـ(1568م(، حاشية زاده على البيضاوي (أربعة أجزاء)، دار الطباعة الباهرة ببولاق مصر، 1263هـ

26- الإمام الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، دار المعرفة بيروت، ط4 وهي صورة عن طبعة بولاق، 1323هـ
القرطبي ، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن ، صححه جماعة من الباحثين، ط2 . دار الكتب المصرية، 1385هـ، دار الكتاب العربي.

27- عبد الفتاح القاضي: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدري، ويليه القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، ط1، 1401.

28- عبد الفتاح القاضي : القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، ط1، 1401.

29- ابن عطية الأندلسي ، عبد الحق بن غالب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحـ: عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية– بيروت ، ط1 ، 1413هـ – 1993م .

30- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تحـ: عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، 1399هـ – 1979م.

31- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ - 889م) تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية

32- ابن كثير ، فضائل القرآن، دار الأندلس ، بيروت

33- ابن مجاهد ، أحمد بن موسى (ت 324هـ)، السبعة (في القراءات السبع)، تحـ: شوقي ضيف، دار المعارف ، ط2.

34- محمد أحمد الجمل ، الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية –رسالة دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن – جامعة اليرموك – إربد – الأردن 7/ محرم 1426هـ.

35- محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مطبعة المدني ، ط1، 1386هـ . على نفقة محمد بن عوض بن لادن .

36- محمد سالم محيسن ، المغني في توجيه القراءات العشر المتواتر ، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، 1398 هـ.

37- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

38- د. محمد عمر با زمول: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، رسالة دكتوراه، دار الهجرة للنشر والتوزيع ط1، 1417هـ - 1996م.

39- د . محي الدين سالم ، علل القراءات القرآنية ، مكتبة وهبة – القاهرة ، دار الكتب المصري 2009 م.

40- الإمام مسلم، صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي .

41- مكي بن أبي طالب القيسي ، الإبانة عن معاني القراءات، تحـ: عبد الفتاح شلبي، المكتبة الفيصلية، ط3، 1405هـ

42- مكي بن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، تحـ: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة ، ط3، 1404هـ.

43- ابن منظور ، لسان العرب ، تحـ: لجنة من الأساتذة – دار المعارف .

44- النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، (ت 338هـ)، إعراب القرآن، تحـ: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة الحديثة، ط2 ، 1405هـ.

45- ابن النديم، محمد بن إسحاق ابن النديم (ت 385هـ)، فهرست ابن النديم، نشر دار المعرفة – بيروت 1398هـ.